

النوادي الفنية على المنصات الرقمية: رؤية استشرافية لتعليمية الفنون على اليوتيوب المسرح الجزائري أنموذجا

د. عياد زويرة
المركز الجامعي أحمد زبانة – غليزان

ملخص الدراسة:

تعليمية الفنون عبر أجهزة الاتصال الحديثة تعمل على تعميق المعلومة، وترسيخها (مرئية، مكتوبة، مسموعة) وهو ما يكشف بالضبط الفرق بين وسائطها وبين وسائل التعليم التقليدية، القائمة على الدرس النظري، والحضور المادي للمتعلم، وبالتالي أمكن مع ظهور التقنية التأكيد على ضرورة التأسيس لمنهاج تعليمي يثبت الحياة في مواد الفنون من جديد، ويكون مصدرا من مصادر التخطيط.

الكلمات المفتاحية: النوادي الفنية، المسرح الجزائري، تعليمية الفن، الاتصال الحديث، وسائل التعليم.

Summary :

The didactic of the arts through modern communication devices works on the strengthening and The anchoring of information (visual, written, audio) which reveals exactly the difference between media and traditional teaching methods based on the theoretical teachings and the physical presence of the teacher, so it was possible thanks to the advent of technology to confirm the need to establish didactic methods capable of reviving artistic subjects, and to become a source of essential planning.

Keywords: Art Clubs, Digital Platforms, Modern Communication, Didactics, Algerian Theater

1 - تمهيد:

-المعرفة في ظل الطفرة التكنولوجية.

-ومثلها الفن والرقمية.

-ومن ثمة الفرق بين المعرفة والممارسة الفنية في مسعى حثيث نحو مقاربة بيداغوجية.

وعلى رأس هذه المتغيرات تطرح أسئلة جوهرية تتعلق بالتحول، وبالتخطيط الاستراتيجي لما بعد المرحلة، والآفاق المستقبلية لتعليمية الفنون بالمعهد أو الجامعة:

-فلسفة التعليم التكنولوجي، هل هي أكبر من أن تكون مجرد استقطاب لآلة أو لوسيلة تواصل ضمن العملية التعليمية؟

-فلسفة التعليم للفن، هل هي تلقين وتثقيف أم أنها ممارسة وإبداع وصناعة؟

هذا وذاك، واستمرارا لحل مشكلات أقسام الفنون، وما شابهها من تراكمات، أقترح تصميميا عمليا من شأنه أن يساهم في رد التفاعل بين المتعلم وبين التخصص، ويكون من نتائجه إعادة الصلة بين الفن وسوق العمل.

1 -المعرفة في ظل الطفرة التكنولوجية:

لقد تغيرت ملامح التعليم للفن ومظاهره على إثر تغير الواقع التربوي وانفتاحه على التحولات التكنولوجية المعاصرة، وهو تحول قد مس مفهوم الفن ومصطلحاته، وأدوات التعلم الخاصة به، في محاولة لاستقطاب المتعلم، والتقليل من سطوة التلقين وتداعياته.

إنّ تعليمية الفن من منظور وصفي معرفة " تقدم مضامين، وأفكار جديدة للفن، ولأن المعرفة تقدم الأساس النظري، والمنهج، والتحليل، فالمعرفة تقدم الأدوات النقدية التي تدرس العمل الفني، واتجاهات التطور، والأساليب، وعملية التأثير أو الاستجابة"⁽¹⁾.

ولأن التعليمية الوصفية قد تسمح برجع الصدى والنفاس والمشاركة على المستوى الخاص، أو لنقل إنّها تسعى لتحقيق غاية الايصال، والتبليغ، وبث الرسائل الفكرية وغيرها للمتعلّم، لكن دون الحرص على التنويع في مستويات التعبير: النظري، الفني، والعملية، مثلما هو عليه الحال في التعليمية التطبيقية التي حولت الفن إلى سلعة أو منتج أو خدمة، قادرة على تمثّل احتياجات المتعلّم للمعرفة الجديدة، وقادرة على تمثّل الخصائص العامة للغة العلم الراهنة:

-الوضوح

-المعاصرة

-الملاءمة

-الجاذبية

-الاختصار

-المرونة

-الاتساع

-القابلية للتطور"⁽²⁾.

إنّ التعليمية الوصفية للفنون مرتبطة بمقرر لا يعرف التأخير أو الإرجاء أو التأجيل، وهذه حقيقة ضاق بها التعليم ذاته، وطريقة تسببت في تضاعف الإعراض عن التخصص، بل أصبح يُهيم عليها غالبا الوصف والتلقين للمطبوع على حساب المرئي والمسموع، في دلالة واضحة ومباشرة بأنّ الأمر يعكس أداء عمل أو وظيفة بيداغوجية باردة.

ومن هذا المنطلق، بات مهما أن نشير إلى ضرورة مراجعة طغيان المعارف النظرية على حساب التطبيقات والممارسات الفنية. فلا توجد نظرية من جهة وتطبيق مستقل من جهة أخرى، بل يوجدان معا في كتلة موحدة، وطبيعة مشتركة، وتلك هي أصول المهمات البيداغوجية.

وبذلك، تعيّن على أقسامنا أن تضطلع بأدوار جديدة، تقلص من سلطة التلقي الوصفي لمواد الفنون، وأن تدعو دائما إلى مزاحمة الكتابة والقراءة الورقية بسلطة الرقمية والثقافة البصرية، حتى نمنح للعملية التعليمية توازنا طبيعيا، ونظيف لمجالاتها شكلا مستحدثا من أشكال التدريس.

هذا التقليل الذي من شأنه أن يذكرنا باستمرار أن الإدراك في صورته المفهومية: تجريد وحواس، سماع ورؤية... يجنبنا كذلك الأحادية التعليمية من ناحية، ويوسع لدينا من أفق التلقي، ونطاقات التعلم. فكل مجتمع في ظل الطفرة التكنولوجية ينشد الدخول الى مجتمع المعرفة، وبين المتلقين عندنا من هم فوق العادة لفعل التعلم، قدرتهم على التواصل والتبادل المعرفي تتجاوز التقليد والإدراك البسيط إلى الحداثة، والإدراك المرئي الأكثر شمولية واتساعا.

-دور الجامعات في بناء المجتمع التقني :

-دور الجامعات لا يقتصر على تخريج دفعات... ولكنه يمتد إلى بناء المجتمع وتنميته، بإمداده بالمهارات المختلفة

-الدورات التعليمية المتواصلة

-تزويد المجتمع بالكفاءات

-العمل على اجتياز الحاجز الرقمي (بين خريجي الجامعات وطلبتها والعاملين فيها)⁽³⁾.

2 - الفن والرقمنة:

جاءت الرقمنة لتدل على ميلاد وسيط جديد، ناقل وحامل للأفكار والمعلومات، ولشتى أصناف المعرفة. فقد أصبح للفن نظير افتراضي على مدار الفضاء وفلكه، بعيدا عن حدود الواقع ومعالمه، في تحول صارخ نحو التطور والمدنية، وركب الحضارة، وهو ما يسمى تماما بعصر: الثورة الرقمية، أو القرية الصغيرة.

إنَّ الرقمية في أبسط تعريفها تعني "تحويل الإرسال إلى إشارة ذات شفرة، في لغة مرقمة مكونة من صفر وواحد، والرقمية تقنية سريعة ومرنة، تنتقل فيها المعلومات بسرعة فائقة، وبكميات غير محدودة"⁽⁴⁾. والفن بإضافته إلى الرقمية يشير إلى "المجموع الحاصل من تفاعل الذكاء الاصطناعي، والفضاء الافتراضي، والذات المبدعة"⁽⁵⁾.

ومصطلح **الثقافة الرقمية** قريب من المدلولين، يحاول "الإشارة إلى معطيات ثقافية جديدة من جراء استخدام التكنولوجيا الجديدة"⁽⁶⁾، وهذا كله من شأنه أن يكسب التعلم قوة لم تكن لتتأتى له وحده من دون الاهتمام بالثقافة البصرية، ومناهج علوم العصر.

إنَّ تعليمية الفنون عبر أجهزة الاتصال الحديثة تعمل على تعميق المعلومة، وتحمل على تثبيتها، وترسيخها (مرئية - مكتوبة - مسموعة) وهو ما يكشف بالضبط الفرق بين وسائطها وبين وسائل التعليم التقليدية، وآلياتها القائمة على الدرس النظري، والحضور المادي للمتعلم، وشيء من الامتحان الكتابي الفصلي أو السنوي. وبالتالي أمكن مع ظهور التقنية التأكيد على ضرورة التأسيس لمنهاج تعليمي قمين بأن يبيث الحياة في مواد الفنون من جديد، ويكون مصدرا من مصادر التخطيط والاستشراف.

-تداعيات الثقافة البصرية:

-هيمنة الحاضر والآني والوقتي واللحظي على مجال الإدراك.
-هيمنة المباشر على وعي المشاهد... وعلى مصداقية المادة الإعلانية، وعلى حقيقة الخبر وسخونته وحرارته.

-الاتجاه من الواقع الواقعي إلى الواقع الافتراضي، ومن الأشياء إلى العلامات"⁽⁷⁾.
إنَّ إثبات الانتقال ناحية الوجود والعالمية، يحتاج فضلا عما تبين، إلى جرأة وحرية واستقلالية، وتحد من هيمنة فكر "بضاعتنا ردت إلينا" وسيطرة المحترفين والمعتقدين لها. لقد بات حضور الصورة قويا ومؤثرا، وعلى إثره ترسخ في وعي المتعلم رصيد من الثقافة البصرية، جعله يبحث في قدراته المدخرة لفهم وإدراك الأشياء التي يتلقاها.

فالعلاقة بين الكلمة والصورة علاقة متينة، ومع تلك المتانة فإنَّ الكلمات التي يقرأها المتعلم أو يشاهد تفاعلاتها بالحركة والمؤثرات المختلفة، ليست من طبيعة واحدة، وليست مرجعا وحيدا للإحاطة بالفن، وبمكوناته المتشعبة، مما يزيدنا وعيا بأن الصورة المتحركة طرف جدير في فعل التعلم، وصناعة الفن تعليمية محفزة لتلقي الفن والثقافة.

إنَّ اللغة البصرية في حقيقتها ليست سوى صورة بلاغية فنية، قد عاودت تشكيل المتناقض المجرد والمتباعد في رسم رقمي أو فن مرئي أو تصميم تماثلي ... مُسايَرة لخصوصية العصر، ومتطلبات القرن، بل أمكن القول بأنها لغة بتقنية جديدة، تسعى لأن تكون امتدادا طبيعيا للثقافة الورقية، واستمرارا مرجعيا للمعرفة على الفضاءات الافتراضية.

وبهذا، فإنَّ الحصول على المعلومة بسهولة، وبأكبر قدر من المنفعة، مؤشر على التطور العلمي، وعلى إمكانية التعلم، وعلى مواءمة الرقمية لرغبة المتعلم، ودخولنا عالم الخدمة الإلكترونية، والاتصالات التفاعلية.

ومن هذا المنطلق، تختفي بأيِّ حال صعوبة تحصيل المعرفة بناءً على تقاليدنا المحكمة بالواقع المتذبذب، والتقليد والعشوائية:

- مكتبة في مكان ...
 - إعارة مقرنة بزمان.
 - مع كتاب أو كتابين.
 - أو قراءته في المكان دون إعارة.
 - عمال بلا تخصص مكتبي.
 - عدم توفر آلة النسخ والتصوير الضوئي.
 - التساوي في التعامل والإعارة بين الباحث في الدكتوراه والمسائير والليسانس وهواة المطالعة...
- ### 3 - المعرفة الرقمية:

إنّ إنشاء مكتبة رقمية على الفضاء سيزيد من وتيرة البحث، وسيفلص الفجوة بين الباحث وبين المعلومة التي ينقب عنها، ويتطلع للبحث فيها. وكل ذلك بضغطة زر لا تساوي في عرف الزمن شيئا، وإلى جانب السرعة، والمرونة، والمهارة في استخدام الحاسوب والأنترنت... هناك امتيازات متاحة على الفضاء، تتيح الاستفادة، والاقتباس، كما تتيح للجميع الحصول على المعرفة، وعلى مواد التخصص، وتخصص التخصص. وهذه عينة من دعائم المعرفة الرقمية:

-تكلفة زهيدة.

-قدرة الأفراد على الإحاطة بمصادر المعرفة المتوافرة.

-تيسر اكتساب المهارة اللازمة.

-الاستفادة من كل ما يجد من فرص التعلم على مدى الحياة.

-الإحاطة بما هو متبادل عالميا من المعرفة⁽⁸⁾.

وعموما، وعلى أحسن الفروض يكون قد اتضح جليا التباين بين المجتمع التقليدي والمجتمع المعلوماتي الراهن، وهي أولا فرصة لكثير من المهتمين بميدان الفنون، ممن لديهم القدرة على الدخول على النيت، والبرمجة، وحسن استعمال التقنية... أن يعيدوا التصور في محتويات المادة، وأن يرقمنوا هذا التخصص للنشئة، وأن يتحولوا عن المعيارية الخاضعة لامتحانات الكتابة إلى معيارية تحتكم للمنجز والكفاءة والأهلية.

-**خصائص الفن الرقمي:**

-التفاعلية

-البرمجة (برامج من شأنها أن تسهم في الإنجاز والتنفيذ)

-لغة ومعجم غير لغة ومعجم الفن التقليدي

-الوسائط (الوصلات)⁽⁹⁾.

وهي ثانيا دعوة لاستحداث المعرفة، وبالتالي "فعلى العاملين في مجالات التعليم، والبحوث العلمية، تنمية المقدرة على المبادرة وشحن الدافع الداخلي لمواصلة أنشطة التعلم خارج حيز الفصل المدرسي المتعارف عليه، وبعيدا عن مجموعات الكتب الدراسية المتداولة، العاجزة عن مواكبة التجديد"⁽¹⁰⁾، وهذه اعتبارات أخرى ربما كان من الضرورة الإشارة إليها بشكل مختصر:

-اتصال المتعلم بالمدينة وحياة المستقبل.

-الحركة المعلوماتية.

-مجتمع المعلومات العالمي.

-توفر الانترنت (النيت للجميع).

-تعدد الوسائط الالكترونية.

-تجدد الأساليب التربوية.

-الرقمنة وصناعة المعرفة.

-الإقبال على اللغة البصرية.

-شخصية المتعلم، العجلة في التحصيل، قلة المقرئية، الانبهار بالتقنية، قضاء معظم الوقت في الأنترنت...

4 -أفلمة مواد الفنون على اليوتيوب: المسرح الجزائري أنموذجا

نقصد بمصطلح الأفلمة إعداد سيناريو يتناول مادة الفن المسرحي، حيث يتم تحويل الكلام إلى فيديو رقمية يصحبها تعليق بشري، وبضع مؤثرات صوتية وموسيقية، ومشاهد تمثيلية... فيتلقى المتعلم درس المسرح الجزائري في قالب أشبه ما يكون بفيلم وثائقي.

-**أهداف التصميم:**

-زيادة دافعية التعلم عند المتعلم.

-تخفيف العبء جراء الوصف، السرد، التلقين...

-التنوع في أساليب الدرس.

-تنمية القدرات الذاتية للمتعلم.

-التقليل من الرتابة.

-المحتوى (مكونات الدرس):

تمّ الاعتماد على كتاب: المسرح الجزائري، نشأته وتطوره، للأستاذ المرحوم: ميراث العيد⁽¹¹⁾ في تحرير المادة الفلمية للدرس، وقد تمّ التركيز على المحاور الآتية:

-الأصول التاريخية لنشأة المسرح في الجزائر.

-الألوان التمثيلية ما قبل المسرح الجزائري الحديث.

-تطور الحركة المسرحية في الجزائر.

-انتقال المسرح العربي في الجزائر إلى العامة.

-عودة المسرح العربي الفصح.

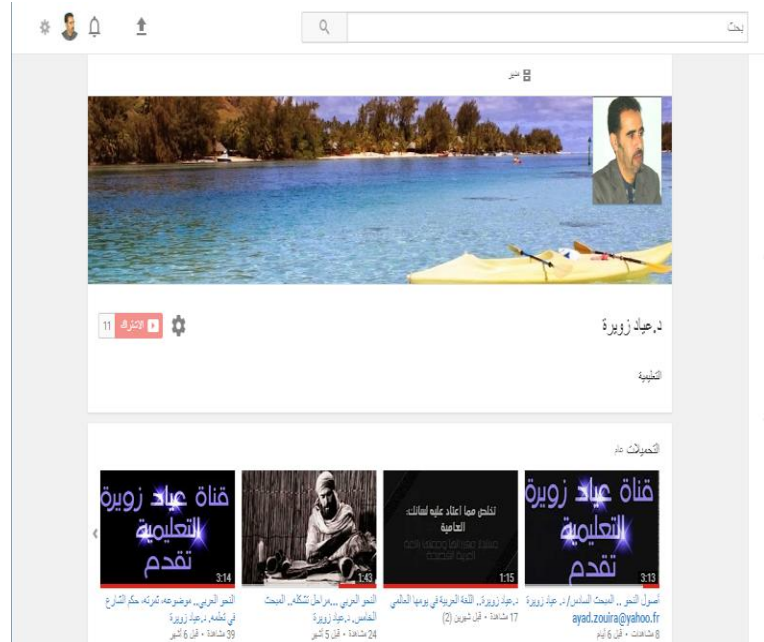
-المسرحية التاريخية.

-خصائصها.

-المسرحية الاجتماعية.

-خصائصها.

-الوسيلة: بعد تحويل المحاور المذكورة إلى مادة فيلمية، وتشكيلها في مقاطع فيديو رقمية، عبر برامج معالجة الصوت والصورة، والتصميم الجرافي...تمّ رفع المقطع على قناتي⁽¹²⁾: التعليمية على اليوتيوب، لتحظى بمشاهدة كبيرة، ومشاركة أكثر. ولماذا اليوتيوب؟ لأنّ أغلب ما يتطلع إليه متعلم اليوم هو مشاهدة الفيديو، لسرعته وخفته وجودته، وكذا مصداقيته.



-طريقة التدريس : (إجراءات التنفيذ)

أ -المدخل : (العرض البصري للفيديو الرقمي).

ب تخليص المحتوى: وذلك عقب العرض المباشر للمقطع أمام المتعلمين، أو بعد أن كانوا قد اطلعوا عليه في البيت، أو في مكان آخر.

ج -المناقشة، وهي على نوعين، إما بكتابة تعليق أسفل الفيديو، وتبادل النقاش مع المعلم، وإما أثناء الحصة، بعد أن يكون المتعلم قد أعد أسئلته للمناقشة.

-التقويم (الاختبار)

يكون كتابيا، حيث يعتمد فيه على تحليل المادة المدروسة (مرئيا) وذلك باستخراج مكوناتها اللفظية والأيقونية، اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي.

5 - الخلاصة:

لا ينأتى حلُّ إشكالية الفن بين المعرفة والممارسة إلا بحوسبة المواد الأساسية، ورقمنتها بصيغ مختلفة على النيت، حتى يتسنى العودة إليها، وتجديدها، ومراجعتها كل حين. ولعل ما تقترحه ورقتي البحثية من تصميم لفيدوهات رقمية عن المواد المدروسة، قد يوفر للمتعلّم: مادة الدرس مختصرة وموجزة : سمعية – مرئية- ومكتوبة. بل سيقربها منه، وسيلغي الحواجز الجغرافية التي تعيق عن الوصول إليها. فضلا عن تجديد آليات التلقي للفنون: عبر وسائط متعددة، وأساليب نوعية عصرية. وهذا يدعونا مجددا- وبصدق- إلى استحداث مقاييس للفن، تعرف بالفن الرقمي، تسمح لنا بتوأمة المعارف بالممارسات التطبيقية، ونحن قسم للفنون فحقيق بنا العمل على الانطلاق من احتياجات المتعلم لما بعد الحداثة، وتلبية مطالب الجيل المعاصر للرقمنة والتقنية الحديثة.

الهوامش:

- ¹ تيسير مشاركة، مبادئ في الاتصال، ط.1، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013، ص.170.
- ² مصطفى محمد حسناوي، واقع لغة الإعلام المعاصر، ط.1، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2010، ص. 63-64.
- ³ دور مؤسسات التعليم العالي في اختراق الحاجز الرقمي، سلسلة إصدارات: نحو مجتمع المعرفة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، مركز الدراسات الإستراتيجية، الإصدار الثامن والعشرون، 2010، ص. 80.
- ⁴ عبد الرزاق محمد الدلمي، الإعلام والعولمة، ط.1، عمان- الأردن، دار مكتبة الرائد العلمية، 2004، ص. 41.
- ⁵ عبد العالي معزوز، فلسفة الصورة، الصورة بين الفن والتواصل، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة إفريقيا الشرق، 2014، ص. 34.
- ⁶ صلاح عبد الحميد، الإعلام الجديد، ط:1، الجزائر، أطفالنا للنشر والتوزيع، 2015، ص. 149.
- ⁷ عبد العالي معزوز، فلسفة الصورة، ص. 24-25.
- ⁸ نحو مجتمع المعرفة، سلسلة دراسات يصدرها مجلس البحث العلمي، مجتمع المعرفة العربي ودوره في التنمية، جدة، الإصدار الأول، الفصل الخامس، 1425، ص. 44-45.
- ⁹ عبد العالي معزوز، فلسفة الصورة، ص. 34.
- ¹⁰ نحو مجتمع المعرفة، مرجع سبق ذكره، ص. 46-47.
- ¹¹ ميراث العيد، المسرح الجزائري، نشأته وتطوره، ط.1، الجزائر، منشورات الرشاد للطباعة للنشر والتوزيع، 2012.
- ¹² عياد زويرة، قناة تعليمية على اليوتيوب:

<https://www.youtube.com/channel/UCxUevqtPOa87eF2rJkWhGw>